العالمين ولا يبالى ويعلم انه مستحق في قدر من لو اهلك مثله الآفا مؤلفه وابد عليهم العذاب ابد الاباد
لم يوثر ذلك فيه اثرا ولم تاخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى
بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسئلة فاجاب فقيل ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت
فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه بدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله
فان قبلت منه حمد الله وان ردت حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله تعالى امره ونهيه وعلم من صفاته ما
احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين وفرقة
اخرى احكموا العلم والعمل وواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها
الصفات المذمومة عند الله تعالى من الكبر والحسد والريا وطلب الرياسة والعلا وارادة السوء للاقران والشركا
وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز منها ولا يلتفت
الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الريا شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى
قوله عليه السلام الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله عليه السلام حب المال والشرف ينبتان
النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات من الاخلاق
المذمومة فهولاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا
الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال ولم يتعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا
من اتى الله بقلب سليم ومثال هولاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها
جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظاهره حتى استنار ظاهره وكرجل قصد ضيافة الملك الى داره فجصص
باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا
فنبت ونبت معه حشيش فامر بتنقية الزرع عن الحشيش ولم يقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه
فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لم يطهر القلب منها لم
تتم له الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء
فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقلع مادته من باطنه فيقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد
في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دايم به يتفجر من المادة التي في الباطن وفرقة اخرى علموا ان هذه
الاخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها
وانهم ارفع عند الله تعالى من ان يبتليهم بذلك انما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم واما هو فاعظم
عند الله تعالى من ان يبتليه ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا
كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين

فاني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجلس شمت اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلي
ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى
ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما روي من الصحابة رضي الله عنهم من
التواضع والتذلل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه
الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله تعالى بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور
يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب
ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه
شيا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته
وظلمه ولم يظن بنفسه حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسته وزوحم فيه
هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا
يرائي باعماله وبعلومه واذا خطر له خاطر الريا قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتدا الخلق بي
ليهتدوا الى دين الله تعالى ويتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره
كما يفرح باقتدايهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يدي من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم
لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب آخر وربما يذكر ذلك له ولا يخليه الشيطان ايضا
ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب فانما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول
الخلق هذا ما يظنه من نفسه والله مطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من
ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع
الى موضعه الذي به يظهر رياسته من تدريس او وعظ او غير ذلك وكذلك يدخل على السلطان ويتودد
اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات
انما ذلك عند الطمع في اموالهم واما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عنك
والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم
حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب
عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال الشيطان هذا مال
لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر
حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلثة امور احدها في انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ
الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احيا قيام واولادهم احيا وغاية الامر وقوع الخلط
في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له

Copyright © King Saud University